الفصل الأول
الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين في الإعلام الأوروبي

يعد تحديد مفهوم الصورة الذهبية مقدمة ضرورية لفهم الصورة الذهبية للإسلام والمسلمين في أوروبا ، وهذا ما سيتم تناوله في المبحث الأول تمهيداً لمعرفة مكونات هذه الصورة في المبحث الثاني ، ثم دراسة وسائل تكريس هذه الصورة في المبحث الثالث وذلك علي النحو التالي.

المبحث الأول
مفهوم الصورة الذهنية

أولاً : تعريف الصورة الذهنية :

عرف قاموس " ويبستر " في طبعته الثانية الصورة الذهنية بأنها : " التقديم العقلي لأى شيء لا يمكن تقديمه للحوار بشكل مباشر أو هي محاكاة لتجربة حسية ارتبطت بعواطف معينة واسترجاع لما اختزنته الذاكرة أو تمثل تخيل ما أدركته الحواس الخمس .

وفي طبعته الثالثة ذكر قاموس ويبستر تعريفاً آخر للمصطلح هو : " مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو نظام ما أو طبقة معينة أو جنس بعينه أو فلسفة سياسية. وقد قدم كينيث بولدينج تعريفاً للصورة الذهنية من خلال تعريفه لصورة المرشح في الانتخابات

علي أنها : " مجموعة الانطباعات الذاتية التي تتكون في أذهان الناخبين عن القيم السياسية للمرشح أو شخصية أو قدراته القيادية ، وتتكون هذه الانطباعات من خلال ما ثبته وسائل الإعلام وبناءً علي خبرات الإنسان السابقة منذ لحظة الميلاد وربما قبل ذلك " [١]

ثانيا : الفرق بين الصورة الذهنية والصورة النمطية :

يرى "روبيسون" و "باولو" أن كلمة Image أي الصورة الذهنية تتشابه إلي حد كبير مع كلمة Stereotype أي الصورة النمطية ، وأنهما يرتبطان بالتحيز Prejudice ، وتلك الكلمة تعني في أصلها اللاتيني "الحكم المسبق" أو التسرع في الحكم قبل توافر الأدلة .. ولكن الصورة الذهنية تختلف في أن كل تجربه جديدة أو رسالة جديدة تجد مكانها المخصص لها بحيث تدعم التجارب السابقة وتؤيد التصور الذي كوناه عن العالم.

وكل تجربه جديدة يتم استقبالها وتفسيرها بطريقه من أربع طرق :

١- أما تدعم التصور الحالي.

٢- أو تضيف إلي التصور الحالي الموجود معلومات جديدة .

٣- أو تحدث مراجعات طفيفة علي هذا التصور .

٤- أو ينتج عنها إعادة بناء كامل للتصور .

بناءً علي ما سبق يتضح أن الصورة الذهنية متغيرة وتتأثر بالتجارب والرسائل التي تصل إلي الإنسان عن طريق الإدراك بالحواس ، بينما الصورة النمطية تعد قوالب جامدة أو أكلاشيهات محددة وغير قابلة للتعديل إلا في ضيق الحدود.. كما أن الصورة الذهنية تتكون وتتشكل من خلال عدة عوامل مختلفة وهي قابلة للتعديل باستمرار ، وترتبط بالسلوك الإنساني ، فأي تغيير في الصورة يستتبع تغيرا في السلوك . [٢]

ثالثاً : طبيعة الصورة الذهنية

يرى جفكينز أن مفهوم الصورة الذهنية "يرتبط بالانطباع الصحيح" ، والحقيقة أن الانطباع يكون صحيحاً إذا كونته معلومات صحيحة ودقيقة ، ويمكن أن يكون غير صحيح إذا كونته معلومات مضللة أو مغرضة ، كما أن العواطف والتأثيرات النفسية تضيف بعداً آخر في تحديد معا لم الصورة ، حيث تعمل علي تشويه المعلومات التي تلقاها الفرد وإدراكها علي نحو لا يتفق مع الحقيقة وذلك بتأثير الاستعدادات السابقة للأفراد والاتجاهات ذات الصلة بما يتم إدراكه.

أنواع الصورة الذهنية :

للصورة الذهنية عدة أنواع هي :

١- الصورة المرآة .. وهي الصورة التي ترى جهة ما نفسها من خلالها .

٢- الصورة الحالية . وهي الصورة التي يرى بها الآخرون هذه الجهة .

٣- الصورة المرغوبة .. وهي التي تود هذه الجهة أن تكوِّنها لنفسها في أذهان الجماهير .

٤- الصورة المثلي أو المتوقعة .. وهي أمثل صورة يمكن أن تتحقق .

٥- الصورة المتعددة .. وتحدث عندما يتعرض الأفراد للعديد من الممثلين عن الجهة التي تريد رسم صورة لها عند هؤلاء الأفراد ، فيعطي كل منهم انطباعاً مختلفاً عن هذه الجهة ، وبعد فترة تتحول هذه الانطباعات إما إلي صورة إيجابية أو صورة سلبية ، أو صورة موحدة تظلها العناصر الإيجابية والسلبية تبعا لشدة تأثير كل منها علي هؤلاء الأفراد .

من المفترض أن الناس لديهم صور صحيحة عن أشياء كثيرة "كالولايات المتحدة" ولكنهم إذا ما تلقوا معلومات كثيرة عنها وبالتالي تكونت صورة معينة في أذهانهم يصعب تغييرها تغييراً حاسماً في الظروف العادية .. فصورة العربي

obeikandi.com

والمسلم عند الشعب الأوروبي تكونت نتيجة للدور الذي مارسته وسائل الاتصال الجماهيرية لفترة طويلة ، ومن خلال الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية والإسلامية ونقلتها هذه الوسائل .. هذه الصورة يصعب تغييرها بين يوم وليلة . (٣)

رابعاً : دور وسائل الإعلام في تكوين الصور الذهنية

إن توجيه وسائل الإعلام للمعلومات هي إحدى أهم الطرق المؤثرة على تكوين الصور لدى أمة عن أمة أخرى ، فهذا التأثير مهم لنا ، عندما نعلم أنه تُكتب كل يوم في العالم أكثر من مليون كلمة إعلامية " لا يتسلم منها القارئ أكثر من نصف في المائة " ، وأما ما تبقي من هذا البحر من المعلومات الإخبارية فيخضع " لتغيير ضخم " .. ويقول كارل "دوتيش وريتشارد ميرت" في دراستهما عن تأثير الأحداث علي الصور الوطنية والعالمية .. أن القائمين "علي المعلومات العامة هم الذين يجرون هذا التغيير ، وهؤلاء هم النخب الحاكمة في وسائل الإعلام ، والذين نسميهم "قادة الرأي" فهؤلاء هم الذين يختارون من بحر المعلومات الواردة ما يناسب اهتماماتهم ويخفون مالا يريدون توزيعه ونشره . (٤)

إن عملية اختيار المعلومات المتناثرة من بحر المعلومات لتكوين الصور هي عملية مهمة لسببين :

الأول : أن هذه المعلومات المتناثرة يختارها القائمون علي الصحف حسب أهوائهم السياسية ، الأمر الذي يزيد الصور المشوهة تشويها ..

الثاني: أن الصحف تدَّعي أنها تلعب دوراً تثقيفيّاً بين جمهور المواطنين الذين يعتمد معظمهم علي الصحف في تأدية هذا الدور .. خاصة في القضايا الخارجية التي لا يملك القارئ التدقيق في أخبارها عكس القضايا الداخلية ، ومن هنا فإن إمكانية التشويه من خلال تلاعب المراسل بالأخبار في الموضوعات الدولية تكون أكبر وأكثر تأثيرا في نفس الوقت . (٥)

***

المبحث الثاني
صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي

أولاً: الموضوعات التي أثارها الإعلام الغربي منذ بداية الثمانينات:

١ـ المسلمون عدوانيون :

يحاول الإعلام الأوروبي ترسيخ الصورة التاريخية في أذهان الشعب الأوروبي ، من خلال التأكيد علي المشاهد الدموية ومظاهر العنف والاختطاف والحروب في تطرقه لشئون المسلمين ، خاصة ما يجري في الشرق الأوسط والعالم العربي .. فتري المشاهد التليفزيونية تعرض "يوميّاً" أمام الرأي العام صورا لمسلمين متعصبين ينادون بشعارات الموت ضد أعدائهم ، ويحملون بنادق وسكاكين وكأنهم متعطشون للدماء ، كما يعرض للمشاهد مسلمين غاضبين يتظاهرون في الشوارع يطالبون بقتل مؤلف أو صحفي أو سياسي..

وهذه الصور اليومية توحي للمشاهد البسيط بحالة الارتباط بين الإسلام والعنف والإرهاب ، وتجعله يعتقد بأن جميع المسلمين أصوليون وأن كلمة "أصولي" تعني "عدواني" و"متعصب" . (٦)

٢ـ المسلمون يحتلون أوروبا :

نظراً لتزايد أعداد المسلمين في أوروبا خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ، فقد روَّج الإعلام الأوروبي لمقولة " إن معدل الإنجاب لدى المسلمين مرتفع وأنهم بهذه الوسيلة سيحتلون أوروبا مستقبلاً " .

ونجد الإعلام في بريطانيا يعرض لقضايا المسلمين مطالباً إياهم بالعودة إلي بلادهم التي أتوا منها ومغادرة بريطانيا .. كما يطلق عليهم أحياناً لفظ "الآسيويين" نسبة إلي القارة الآسيوية حيث توجد في بريطانيا أكبر جالية إسلامية من آسيا .(٧)

٣ـ اضطهاد المرأة :

يتخذ الإعلام الأوروبي موضوع المرأة مناسبة للطعن في الشريعة الإسلامية وأحكامها ، وذلك بسبب الخلط بين التقاليد الإسلامية من جهة وبين العادات والتقاليد المختلفة للشعوب الإسلامية والسلوك الشخصي لبعض المسلمين .. ولا يمر أسبوع دون أن يتطرق الإعلام الأوروبي في مقال صحفي أو برنامج أو ندوه تلفزيونية لوضعية المرأة المسلمة ، فيجري تصويرها على أنها تعاني من الأحكام الإسلامية التي تضطهدها وتقهرها .

أما الحجاب فيحتلَّ اهتماماً كبيراً من حين لآخر في الإعلام الأوروبي وذلك كرد فعل لحادث طرد تلميذات في فرنسا . منتصف التسعينات . لأنهن يرتدين الحجاب ، أو لرفض مدير إحدى المدارس في هولندا دخول طالبة مرتدية الحجاب ، فيجري استضافة خبراء ومتخصصين في علم الاجتماع وعلم النفس والأديان وضيوف من المسلمين والمحجبات لمناقشتهم في ذلك الموضوع.. كما رسم الإعلام صورة للمسلم علي أنه رجل مزواج يبحث عن المتع والغريزة ، رغم أن القرآن اشترط العدل بين الزوجات وجعل التعدد علاجاً لبعض المشاكل مثل العنوسة . [٨]

٤ـ العنف تجاه الأطفال :

عمل الإعلام الأوروبي علي تسويق فكرة أن المسلمين ذَوُوا تفكير وسلوك عنيف حتي مع أطفالهم ، من خلال العرض لقضايا تربية الأطفال والمشاكل السلوكية والنفسية التي يعانون منها، خاصة أن الأطفال المسلمين في أوروبا يكونون عرضة لتجاذب ثقافتين مختلفتين ، هما الثقافة الأوروبية : في الشارع، والمدرسة ،والتلفزيون ، والثقافة الإسلامية : داخل المنزل .. وقد استغل الإعلام الأوروبي سلوك بعض الآباء المسلمين تجاه أبنائهم .. مثل استعمال الضرب أو العقاب أو إجبار الفتاة علي الزواج من شخص لا تريده مما يضطر هؤلاء الأبناء لمغادرة

المنزل واللجوء إلي مراكز خاصة باستقبال مثل هذه الحالات ، والتي تكون حقل تجارب للبحوث الاجتماعية والنفسية إلي جانب استضافتهم في برامج تليفزيونية وإذاعية للحديث عن تجاربهم مع ذويهم ، حيث يكون مقدم البرنامج متعاطفاً مع الفتاة التي تهرب من البيت ، ويصور أسباب الهروب علي أنها ترجع إلى الكبت والقهر والإجبار ويجري التنديد بمواقف الآباء المتعصبين.

٥ـ تشويه صورة المهاجرين المسلمين في أوروبا:

تطرق الإعلام الأوروبي لقضايا "المهاجرين" بشكل مسيء لا ينسجم مع أبسط الحقوق الإنسانية ، فيشار إليهم بصورة واحدة وهي التخلف الحضاري والثقافي واتهامهم بارتكاب جرائم السرقة والاغتصاب والاعتداء المسلح .. وهذه الاتهامات يتعرض لها "المهاجرون المسلمون" بصفة خاصة ، لأن غالبية المهاجرين الذين يتدفقون سنويا علي أوروبا هم من الدول العربية والإسلامية وفي حالة التعرض لأخبار الجرائم والاتهامات في الإعلام الأوروبي ، تُظهر المشاهد التلفزيونية ملامح المتهم بكل وضوح إذا كان أجنبيّاً ، أما إذا كان أوروبيّاً فُيكتفي بالخلفية أو يتم التشويش علي ملامح وجهه ...

كما يُتهم أولاد الأجانب بأنهم أعضاء في شبكات توزيع المخدرات والإجرام.. وقد حمّلت إحدى الصحف الشعبية واسعة الانتشار في بريطانيا الأجانب مسئولية انتشار مرض "الحمي القلاعية" الذي تسبب في خسائر اقتصادية هائلة هناك (١٠)

٦ـ إساءة معاملة الحيوانات :

تحاول وسائل الإعلام في أوروبا الترويج لدعوات منظمات حماية الحيوانات والأحزاب العنصرية التي تعمل علي زرع بذور الكراهية للمسلمين ، من خلال موضوع ذبح الحيوانات ، حيث يتابع الإعلام الأوروبي المسلمين في عيد

الأضحى وبعض المواسم الإسلامية ، ويذهب المصورون لالتقاط الأفلام والصور في المجازر الإسلامية لتعرض علي المشاهد خاصة في "فرنسا" مناظر الدم وقطع رءوس الماشية والأغنام .. كما تعرض وسائل الإعلام صوراً مؤلمة عن حيوانات تعاني الآلام أثناء النقل والشحن وتعرضها للجوع والعطش ، فالمسلمون متهمون بإساءة معاملة الحيوانات بسبب قيامهم بذبح الأغنام والماشية في المواسم الإسلامية وعيد الأضحى .

٧ـ تصوير الإسلام بوصفه " ديناً عربيّاً " :

ينظر المواطن الأوروبي خاصة في الدول المطلة علي البحر المتوسط إلي الإسلام بوصفه "ديناً عربياً على الرغم من أن العرب يعدون أقلية بالنسبة لمجموع سكان العالم الإسلامي .. وبناءً علي ذلك فإن جميع التحيزات الموجهة للعرب – وهي كثيرة – مُوجَّهة الي الإسلام والمسلمين، ولكي يتعرف القارئ الكريم علي هذا التحيز وكيف تتم صياغته ، فينبغي أن يشاهد أفلام هوليوود التي تتناول العرب ، وهو ما سوف نعرض له لاحقاً بالتفصيل . (١١)

٨- **نمط 5B:** والمقصود بها أن الصورة النمطية للعرب والمسلم في الإعلام الغربي تحمل "خمس صفات" تبدأ كل وحدة منها بحرف B كالأتي:

– بدوى Bedouin ، أي الإنسان "الهمجي" والبربري" الذي يحمل الخنجر في فمه وهو شخص لا يوثق به لا حرفه له إلا الغزو والسطو .

– الراقصة الشرقية Belly dancer : والمقصود بها ثقافة هز الوسط ، أي الابتزاز ، وهو نمط ثقافي قائم علي الغرائز الجنسية البحتة والإغراء .

– رجل البازار Bazar man.. أي صورة المسلم الذي يعتمد على عمليات المساواة والاستغلال– كما يفعل بائعي البازار في خان الخليلي والحسين .

– إلي جانب صورة العربي المسلم Billionaire الثري الذي يمارس القمار ويشرب الخمر.. وBomber أي المسلم قاذف القنابل الاستشهادي (انتحاري) في نظرهم. (١٢)

٩ـ العنصرية ضد المسلمين :

احتلت الأحداث العنصرية ضد المسلمين . مثل الاعتداء علي بعض المسلمين والمراكز الإسلامية والمساجد . في أوروبا والغرب بصفة عامة اهتماماً كبيراً من جانب الإعلام الغربي ، خاصاً في البلدان التي تشهد نمو تيار قومي متطرف ينادي بطرد المهاجرين الأجانب– مثل ألمانيا وفرنسا – وغالباً ما كان يجري التنديد بهذه الاعتداءات ، لعدة أسباب منها طبيعة المجتمع الأوروبي الذي يرفع شعارات الحرية والمساواة ، التي جانب مخاوف الأقليات اليهودية من تنامي الشعور العنصري والذي يرافقه تنامي تيار نازي جديد ، كما في ألمانيا ، وإن كانت هذه التيارات أصبحت تصب جام غضبها علي المسلمين بدلاً من اليهود كم كان في الماضي . (١٣)

١٠ـ التحيز في تغطية الصراع الإسرائيلي :

أبدى الإعلام الغربي في تلك الفترة تحيزاً واضحاً فيما يتعلق بالأحداث في الأراضي العربية المحتلة، إذ كانت التغطية الإعلامية لهذه القضية تتصف بحساسية شديدة ، خاصة فيما يتعلق بأخبار المقاومة الإسلامية ضد إسرائيل ، فعندما تقوم المقاومة بأي عمل فدائيٍّ ضد الجانب الصهيونيِّ ، تتباري الصحف والإذاعات والمحطات التلفزيونية الغربية – التي لها مراسل دائم في تل أبيب – في تخصيص مساحات وأوقات كبيرة لا تتناسب مع الحدث نفسه فيما لو كان الضحايا من الفلسطينيين ، كما صورت أعمال المقاومة علي أنها إرهاب وتطرف وأعمال تخريبية بينما المذابح والقتل والدمار الذي يقوم الجانب اليهودي هو "دفاع عن النفس" في مواجهة الإرهاب والتطرف !!

***

المبحث الثالث
رسم الصورة السلبية للإسلام والمسلمين

تتعرض السطور القادمة للوسائل والأدوات التي استخدمها الغرب ، لتقديم الإسلام والمسلمين بصورة غير محبذة في الغالب ، وكيف لعب الاتصال الجماهيري بشتى مواقعه وأشكاله الدور الرئيس في رسم صورة للإسلام والمسلمين تتطابق مع الصورة الغربية التي تكونت منذ القرون الوسطي ، علي اساس أن العرب والمسلمين (يؤمنون بالخرافات جداً ، كسالى ، خانعون للسلطة شهوانيون..)

ويمكن رصد وسائل تكريس الصورة الذهنية المشوهة عن الإسلام والمسلمين كالتالي .

أولاً الصحافة :

بدأت الصحف الأوروبية بعد سقوط الشيوعية ، بداية التسعينات في التأثير علي الرأي العام الأوروبي وإقناعه بأن الإسلام هو العدو الجديد والخطر القادم من الشرق.. وعلي سبيل المثال فقد نشرت صنداي تليجراف البريطانية في ١٢ يناير عام ١٩٩١ مقالاً لبيرجرين دور تون بعنوان (الوجه القبيح للإسلام) جاء فيه "إن الإسلام الذي كان حضارة عظيمة تستحق الحوار معها ، قد أصبح عدوّاً بدائيّاً لا يستحق إلا الإخضاع"..

في حين حذرت بعض الصحف من خطر وصول الإسلاميين إلى السلطة في العالم الإسلامي ،حتي ولو كان عبر الطرق الديمقراطية، فقد نشرت صحيفة فايننشال تايمز البريطانية في ١٣يونيو عام ١٩٩٠ مقالاً جاء فيه "يجب علي الولايات المتحدة ألا تشجع الاتجاهات الديمقراطية في العالم الإسلامي ، لأنها بذلك تدفع دون أن تدري بالأصوليين إلى تسلم زمام السلطة هناك".

وقد استمرت الحملات الإعلامية المعادية للإسلام والمسلمين في الصحف الأوروبية علي نفس النمط من المعالجة الإعلامية المغلوطة والتشويه المتعمد للصورة الذهنية ، مستخدمة كافة الأساليب والوسائل الفنية لتثبيت هذه الصورة (سيأتي الحديث عنها بالتفصيل).. وقد أخذت الصحف تعمل علي تحليل الواقع الإسلامي وتقدم للقارئ الحجج والبراهين و من أجل أن يستقر في ذهنه أن الإسلام هو دين الكراهية والتعصب والعنف.

ومن بين هذه المعالجات نذكر تحليل مجلة "لوموند دبلوماتيك" الفرنسية في عددها الصادر في شهر ديسمبر ١٩٩٤.. حيث عددت للقارئ عوامل وأسباب تحول الإسلام إلي خطر كبير في القرن الواحد والعشرين ، خاصة في حالة تملك العالم الإسلامي للأسلحة النووية والبيولوجية . (١٤)

في منتصف التسعينات بدأت الصحف الأوروبية تعزف علي وتر القضايا الإنسانية والاجتماعية وتصوير المجتمعات الإسلامية بأنها لا تعرف حقوق الإنسان أو الحريات العامة والخاصة، وكنموذج لهذه القضايا فقد أبرزت الصحف البريطانية في عام ١٩٩٥م قضية الخادمة الفلبينية التي حكم عليها بالإعدام في الإمارات لقيامها بقتل مخدومها .. وكانت صحيفة "أوبزرفر" البريطانية هي أكثر الصحف اهتماما بهذه القضية ، حيث نشرت صورة كبيرة في صدر الصفحة الأولي في عدد يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٩٥م جاء تحتها– للتأثير علي نفسية القارئ – أن صاحبة هذه الصورة فتاة عمرها ١٦عاماً ، وأنه قد قامت محكمة "إسلامية" بالحكم عليها بالإعداد لقيامها بقتل مخدومها الذي اغتصبها واعتدى علي كرامتها.. كل ذلك من أجل ترسيخ الصورة الذهنية التي أخذت تتكون لدى القارئ عن المسلمين ، بما يوحي بأنهم غير متحضرين أو عادلين في قوانينهم الإسلامية ، مما أدي بالفعل إلى أثارة الرأي العام الإنجليزي ضد قوانين الشريعة الإسلامية ، وزيادة مخاوفه من الإسلام والمسلمين .. كما نلاحظ في القضية السابقة أن

الصحف تدخلت بالرأي والتعليق ولم تكتف بالرصد والتحليل .. دون دراية كافية بالشريعة الإسلامية مما يجعلها تقدم معالجة غير موضوعية .. في حين أنها تتعرض دائماً لضرورة احترام المهاجرين "ومنهم المسلمون" لقوانين البلاد الأوروبية التي يعيشون فيها.

كما اهتمت الصحف الغربية منذ منتصف التسعينات بنشر ملخصات وعروض للكتب التي تتناول القضايا الإسلامية ، مثل كتاب "حروب بلا نصر" للرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون ، حيث عرضت هذه الصحف أجزاء كبيرة من الكتاب ، والذي حذر فيه نيكسون الغرب من صحوة الشعوب الإسلامية والأصولية الإسلامية ، والتي أطلق عليها عبارة (الفكرة السيئة The Bad Idea)[١٥].

يلاحظ أن هناك الكثير من الكتب التي ظهرت منذ سقوط الشيوعية عن علاقة الإسلام بالغرب والمخاوف من الحضارة الإسلامية .. وكان أهمها وأكثرها إثارة للجدل كتاب صموئيل هانتنجتون "صراع الحضارات" والذي نشر عام ١٩٩٤ ، وكانت مجلة Foreign Affairs" قد نشرت مقالاً للمؤلف في عدد يوليو١٩٩٣م تضمن الأفكار الرئيسية التي وردت في الكتاب .

وقد حظي كتاب هانتنجتون ونظريته حول صراع الحضارات باهتمام كبير من جانب الصحف الأوروبية منذ صدوره حتي نهاية القرن الماضي .. وقد اهتمت كبريات الصحف الأوروبية في السنوات الأخيرة بعرض مثل هذه الكتب، خاصة إذا كانت لمؤلفين من أمثال فرانسيس فوكوياما وبرنارد لويس وغيرهم من الذين لديهم آراء مضادة للإسلام والمسلمين ، مما يساهم في تشكيل صورة الإسلام في الوعي الأوروبي لما يحظي به هؤلاء المفكرين والباحثين من مكانة في الأوساط الثقافية في أوروبا والولايات المتحدة [١٦] .. في حين لا تهتم الصحافة كثيراً بنشر وعرض الكتب التي تعرض الصورة الإيجابية للإسلام والمسلمين ، فيما عدا الدوريات المتخصصة.

أما فيما يتعلق بالتناول الإعلامي لقضايا الإسلام والمسلمين في الصحافة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ، فسوف يتم التعرض لأهم ملامح التغطية الصحفية في تلك الفترة بالتفصيل لنرى كيف تغيرت اتجاهات هذه الصحف كانعكاس لتلك الأحداث.

تصور الصحف الغربية عبر "رسوم الكاريكاتير" العرب والمسلمين في قالب من السخرية والتشويه ، فقد أخذ رسامو الكاريكاتير بالصحف الغربية منذ السبعينات إلى تصوير المسلمين والعرب علي أنهم قوم يتصفون بالعناد والسخف إلى جانب الإرهاب والتطرف .. غالبا ما تعرض هذه الرسوم شخصية العربي المسلم . كشخص ضخم الجسد ذو لحية وشارب مع أنف مقوس وعباءة واسعة وكوفية رأس ويحمل خنجرا في خاصرته . ثم تطور فيما بعد الي حمل بندقية كلاشنكوف ، ويظهر في بيئة صحراوية ومن خلفه آبار البترول.(١٧)

وهناك نماذج صارخة تكرس هذه الصورة السلبية المشوهة ، مثل الكاريكاتير الذي نشرته صحيفة صنداي تليجراف بتاريخ ٣٠نوفمبر ١٩٧٣م وهو يصور في نصفه (شرذمة من العرب يركضون خلف إنجليزي متغطرس وهو يرتدى نظارة شمسية وقبعة ويصيحون "الصدقة حباً لله" .. وفي النصف الآخر من الرسم مجموعة من الإنجليز وهم يرتدون بدلات غامقة وقبعات ويتبعون أميراً عربيا بديناً مترفعاً وهم يصيحون " النفط حباً ").

وفي جريدة "لندن إيفننج ستاندرد" نشر رسام الكاريكاتير الشهير "jack " رسماً يصور شخص عربn مسلم يحمل سلاحاً وقنبلة يسير متسللاً في حي بيكادلي وشرطيان بريطانيان يلاحظانه ، فيقول أحدهما "أوه ، أظنه ملحقاً في إحدى السفارات العربية".(١٨) ..كما نشرت صحيفة صنداي تايمز بتاريخ ٢٥يوليو عام١٩٧٦ رسماً يعد تهكماً عنيفاً علي العرب ، حيث أشار الرسام في تعليقه على الرسم إلي أن السيارات الرولزرويس التي تقف أمام محلات هارودز الشهيرة بلندن

وتنتظر أصحابها من العرب ، إنما تشبه قوافل الجمال التي كانت تنتظر تحميلها بثروات السلطان .

واصلت الرسوم الكاريكاتيرية هجومها علي الشخصية العربية المسلمة وتقديمها بشكل قبيح وكريه ، في فترة الثمانينات والتسعينات ، وتطورت هذه الشخصية ، حيث تم تشبيهها بأسامة بن لادن أحياناً أو حكَّام طالبان أحياناً أخرى أو بالفدائي الفلسطيني الذي يقوم بعمليات استشهادية .

ويلاحظ أن رسم الشخصية العربية المسلمة كان غالباً رسماً لشخصية "الإرهابي" المتعطش للدماء العنصري أو المتطرف المتعصب الجاهل خاصة بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١.

ثانياً : الإعلام المرئي

أولاً : التلفزيون

مع بداية عقد الثمانينات من القرن الماضي أخذت التغطية التلفزيونية في أوروبا والولايات المتحدة تعمل على إبراز الهلع والخوف من الإسلام فيما عرف بـ(Phobia Islam) وتسويقه من خلال أحداث الثورة الإيرانية ، وتصوير الحرب الأهلية في لبنان علي أنها حرب بين الإسلام والمسيحية.[١٩] ويوضح إدوارد سعيد في كتابه "تغطية الإسلام" أن وسائل الإعلام المرئية جعلت الإسلام مسئولاً عن سعر النفط وأزمة الطاقة ، وما صاحبها من آثار ضارة علي المجتمعات الغربية ، إلي جانب مسئوليته عن كثير من الاضطرابات في الوطن العربي في تلك الفترة.[٢٠]

ومن أهم "الأفلام" التي عملت علي تغذية الخوف من الإسلام والمسلمين في هذه الفترة ، فيلم "موت أميرة" ، وهو فيلم بريطاني عرض في إبريل١٩٨٠ علي قناة I.TV ، كما عرض في الولايات المتحدة يوم ١٢مايو ١٩٨٠ ، والفيلم يعد من "الأفلام الوثائقية الخيالية" لأنه يعرض لشخصيات الفيلم من خلال ممثلين محترفين ، وقد سبب الفيلم توتراً في العلاقة بين السعودية وبريطانيا ، حيث

سحبت السعودية سفيرها من لندن احتجاجاً علي الفيلم الذي اعتبرته إهانة للإسلام وأنه يعطي صورة مغلوطة عن المجتمع العربي ، وقد عمد مخرج الفيلم "انتوني توماس" علي إظهار قيم وأعراف المجتمعات العربية ، إلي جانب شريعة الإسلام في العقوبات بشكل غريب وقاس وبعيد عما هو مألوف للمشاهد الغربي.

وقد روَّجت الأفلام الغربية في تلك الفترة أيضاً صورة الفدائيين من رجال المقاومة الفلسطينية "الإرهابيين " و "القتلة" و "وعديمي الرحمة" .. وأن المقاومة ما هي إلا "إرهاب" كما جاء في سياق فيلم "غارة عنتيبي" الذي عرضته قناة I.T.V البريطانية يوم ١٨ أكتوبر ١٩٨١م والفيلم يصور الإسرائيليين بأنهم (ديمقراطيون . متحضرون ، أبطال) لأنهم يقومون بإنقاذ طائرة ركاب مدنية أختطفها رجال المقاومة في مطار عنتيبي بأوغندا..

كما عرضت نفس القناة فيلما بعنوان "أشانتي" يوم ٣٠ أغسطس عام ١٩٨٢م وتدور أحداث الفيلم في إطار القوالب النمطية الجامدة عن العرب المسلمين ، حيث يُظهر الفيلم – من خلال أحداثه– العرب في صورة تجار رقيق للنساء والأطفال ، ويعالج سيناريو الفيلم (الذي جري تصوير جزء منه في الأراضي المحتلة) قصة طبيب غربي ذهب في بعثة طبية مع زوجته إلي إحدى الدول الأفريقية ، فيقع فى أيدي تجار الرقيق العرب.

ومن الأفلام التي روجت في إطار ضمنى لصورة العرب (كشعب متخلف) مع الترويج للتفوق الإسرائيلي علي حساب العرب ، فيلم "امرأة تدعى جولدا " وهو فيلم يتناول حياة جولدا مايئر رئيسة وزراء إسرائيل إبان حرب ١٩٧٣م وقد عرضته قناة B.B.C البريطانية في نوفمبر ١٩٨٢م .[٢١]

أما في حقبه التسعينات ومع سقوط الشيوعية ، فقد رسم التلفزيون في الغرب بقنواته المختلفة صورة للإسلام بأنه دين العدوان والعنف وعدم التسامح ، وأن المسلمين قوم متخلفون ، يمارسون تعدد الزوجات وإيذاء النساء نفسيّاً وبدنيّاً ، فضلاً عن خطف الأطفال وبيعهم في سوق الرقيق. [٢٢]

وقد جاءت الأفلام التسجيلية في مقدمة المواد الإعلامية التي تتعرض للإسلام والمسلمين ، وظلت الصورة سلبية ومشوهة ، مع استبدال العدو الإسلامي "الخطر الأخضر" بالعدو الشيوعي ؛ لأن الغرب لا يستطيع أن يعيش بدون عدو!! وهو ما سنتعرض له لاحقاً .. ومن أهم الأفلام التي أثارت ضجة في تلك الفترة فيلم "سيف الإسلام" وهو فيلم بريطاني عرضه التليفزيون الحكومي B.B.C عام ١٩٩٤م ، وُيظهر المسلمين بشكل متخلف وغير حضاري ، ويصور الجهاد الإسلامي ضد المحتل علي أنه (إرهاب وسفك لدماء الأبرياء)[٢٣].. وهناك فيلم "نساء مسلمات" الذي عرضته القناة الثالثة بالتلفزيون الإيطالي في شكل حلقات مسلسلة في الأسبوع الأخير من شهر يناير ١٩٩٩م والذي عرض نماذج من نساء إيران وفلسطين _ المحجبات ؛ قد انخرطن في الحياة وفي العمل دون أن يكون الحجاب عائق لهن ، حتى أن النساء الفلسطينيات قد التحقن بجهاز الشرطة وبالمقاومة المسلحة دون خلع الحجاب أثناء التدريبات.

استخدام التلفزيون في الغرب "الرسوم المتحركة " كأحد أشكال المعالجة الإعلامية لتقديم صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين ..ومن أهم أفلام الكارتون في تلك الفترة ، فيلم "علاء الدين" وهو فيلم موجه للأطفال في المقام الأول ، ولكنه يرسم صورة المسلم العربي بأنه مزواج ويهدف الي المتعة الجسدية علي اعتبار أن ذلك يرجع للطبيعية الإسلامية .

كما عرض التلفزيون في الدول الغربية العديد من أفلام الرسوم المتحركة والتي انتجتها مدينة هوليوود الأمريكية نهاية القرن العشرين ، لتقديم صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين ، ومن أهمها فيلم "أمير من مصر" والذي يتعرض لقصة سيدنا موسي عليه السلام ، وفيه يرسم المخرج اليهودي "سبيلبرج" صورة مغلوطة ومشوهة عن المصريين والعرب ، من خلال استدعاء التاريخ مع الترويج لفكرة تفوق ونقاء بني إسرائيل.

كما قدم التلفزيون في الدول الأوروبية العديد من البرامج الحوارية والثقافية التي تتناول الإسلام والمسلمين ،والتي استعان فيها بالمفكرين والباحثين والإعلاميين المتخصصين في القضايا الإسلامية وشئون الشرق الأوسط ، وعلم الأديان .. ولكن لم يسمح ، إلا نادراً بعرض وجهة النظر الموضوعية فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين.. والمثال الواضح في ذلك الشأن هو التلفزيون الفرنسي ، والذي منع في منتصف التسعينات أصحاب الآراء المعتدلة عن الإسلام والمسلمين من الظهور في جميع القنوات ، وعلي رأس هؤلاء الباحث "فرانسو بورجا" صاحب كتاب "الإسلام السياسي" والعديد من الكتب والدراسات التي تتعرض للشأن الإسلامي بقدر من الموضوعية ، ولم يتمكن بورجا – الذي عمل في تلك الفترة في مركز الأبحاث الفرنسي بالقاهرة "سيداج" – نتيجة لآراءه المتزنة من الظهور في التلفزيون الفرنسي إلا عن طريق قناة ألمانية . فرنسية خاصة "R.T" وكان ظهوره في هذه القناة من خلال الجانب الألماني وليس الجانب الفرنسي .

من خلال عملية تحليل محتوى بعض المواد التلفزيونية الأوروبية في الفترة التى سبقت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نجد أن التلفزيون الفرنسي ثم الألماني هي الأكثر تحيزاً وتشويها لصورة الإسلام والمسلمين .. ويرجع ذلك إلي أنهما أكثر استقبالاً للمهاجرين من الدول العربية والإسلامية ، خاصة في ظل نمو اليمين المتطرف والحركات العنصرية الجديدة التي تنادي بطرد المهاجرين وعلي رأسهم العرب والمسلمين ، إلي جانب أخطاء وسلبيات المهاجرين أنفسهم، مما شجع التلفزيون الأوروبي علي إبراز هذه المظاهر السلبية في التناول الإعلامي بشكل بارز ومكثف .. وجاء التلفزيون البريطاني في المركز الثالث في مجال رسم صورة سلبية عن الاسلام والمسلمين ، نظراً لأن أعداد المهاجرين والمقيمن أقل من فرنسا وألمانيا ، وكذلك المشاكل المتعلقة بمسلمي بريطانيا أقل من تلك التي يثيرها وجود المسلمين في البلدين .

ثانياً : السينما

صورة الإسلام والمسلمين في أفلام هوليوود :

قدمت أفلام هوليوود "الإسلام" بوصفه ديناً للسذج بدون روحانية وتقام الصلاة كتمارين جسمانية ، ورمضان هو شهر الحفلات الليلية ، والحج عادة وثنية لا يقبلها العقل .. أما (المسلمون والعرب) فيظهرون في هذه الأفلام بوصفهم كسالي وجبناء ، وهم متعصبون مهووسون بالجنس والملذات ، ويرى المشاهد في معظم اللقطات والمشاهد الشيوخ العرب تحيط بهم النساء نصف عاريات وهم يتكئون بجوار آبار البترول .[٢٤]

وفي دراسة حول "الشخصية النمطية السيئة للعرب في أفلام هوليوود" للدكتور جاك شاهين – أستاذ الأتصال الجماهيري بجامعة الينوي والخبير في مجال الصورة الذهنية للشخصية العربية– تتبع فيها المؤلف أكثر من ٩٠٠ فيلم من الأفلام التي تناولت شخصيات عربية أو مسلمة منذ عهد السينما الصامتة الي بداية عام ٢٠٠١م ، وقد توصلت الدراسة الي أن ملامح صورة العرب والمسلمين في تلك الأفلام ، هي صورة سلبية منفرة، حيث الرجال يحطون من مكانة المرأة ويعاملونها كمخلوق أدني ، والمرأة إما إرهابية تقوم بتفجير القنابل، أو هي جارية ترتدي ملابس مثيرة وتقوم بأداء حركات راقصة رخيصة، لأهمَّ لها إلا إمتاع الرجل.. كما صورت أفلام هوليوود المصريين علي أنهم فراعنة قساة يضطهدون اليهود !! أو في صورة غامضة مثل : المومياوات التي تبعث حية من قبورها وتقدم بأعمال إرهابية فظيعة.

ومن أهم النتائج التي توصل اليها الباحث ، أنه إذا كانت الأفلام التي جرى بحثها تصور العرب بصفة عامة بأنهم قتله وإرهابيون لديهم أسلحة نووية ويشنون هجمات غادرة لتدمير المنشآت المهمة (لاحظ الدلالة والتي تعد تهيئة للعقل الغربي لتقبل فكرة قيام العرب والمسلمون بهجمات ١١سبتمبر).

ترى الأفلام أن "العرب جميعاً شيء واحد " ففي فيلم "الشيخ يتعبد" الذي عُرض١٩٣٧م ، تقول البطلة الأمريكية أن العرب جميعهم متشابهون في نظري ويقول بطل الفيلم نفس الجملة .. وبعد عشرات السنين لم تتغير الصورة الذهنية عن العربي المسلم ، ففي فيلم "الرهينة" الذي عرض عام ١٩٨٦م يقول الممثل الذي يقوم بدور السفير الأمريكي في الفيلم ، أنني لا أستطيع أن أميِّز عربياً عن عربي آخر فهم يبدون سواءً .[٢٥]

ملاحظات مهمة حول الدراسة السابقة

١- أشارت الدراسة الي أن صناع السينما في هوليوود لا يفرقون بين العرب والمسلمين ويضعونهم في سلة واحدة ، ولذلك فهم يقومون مراراً وتكراراً بإظهار كافة العرب علي أنهم مسلمون ، وإظهار كافة المسلمين علي أنهم عرب.. ومن ثم فإن مشاهدي السينما أصبحوا يعتقدون أن العالمين العربي والإسلامي لهما نفس السمات .. مع أن الواقع غير ذلك..

٢- أكدت الدراسة أن صناع السينما في هوليوود لم يبتكروا هذه الصورة النمطية المشوهة للعرب والمسلمين ، ولكنهم ورثوا تلك الصور التي كانت تسخر من العرب في الماضي في الدول الأوروبية .. خاصة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، حيث رسم المؤلفون والكتاب في أوروبا صور نمطية مشوهة للشخصية العربية مستمدة ومستوحاة من "القصص الخيالية" التي تمثل العرب كأشخاص متوحشين يستعبدون الجواري ،ومن هنا أصبحت الصور الخيالية جزءاً لا ينفك عن الذهن الأوروبي مع إضافة بعض التعديلات ، ولا يمكن محوه بسهوله من الثقافة الأوروبية ، خاصة قصص كتاب "ألف ليلة وليله" والتي أثَّرت بشكل أو بأخر علي المفاهيم الأوروبية والأمريكية.

٣- يؤكد د.جاك شاهين أن استخدام لفظ هوليوود للدلالة علي مكان إنتاج الأفلام ، وأنه إذا كانت معظم الأفلام أنتجتها شركات أمريكية ، فإن هناك العديد

من الأفلام قد أنتجتها شركات أوروبية سواء إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية ، وهناك أفلام أسبانية وإيطالية وسويدية، ويوضح أنه لم يتطرق في دراسته للأفلام الوثائقية التسجيلية أو الأفلام التي أنتجتها هوليوود للعرض التلفزيوني فقط .

صورة العرب والمسلمين في السينما الأوروبية:

ساهمت السينما الأوروبية مساهمة كبيرة في رسم صورة ذهنية قبيحة للعرب والمسلمين في أوروبا والغرب بصفة عامة ، منذ بداية القرن العشرين من خلال تثبيت الصور النمطية والقوالب الجامدة التي تحدثنا عنها – كموروث ثقافي– أو برسم صور ذهنية جديدة معدلة ، وكانت الصور الرئيسية التي عملت علي ترويجها السينما الأوروبية علي المستوى الشعبي في العشرينات عن أجدادنا العرب هي (الرقص والسرقة والقرصنة) أي شيطنة الشخصية العربية المسلمة، لاسيما في فيلم "مصر الصغيرة" عام ١٩٢٠م " الراقصة المصرية" عام١٩٢٠م أيضاً "رقصة النيل" عام ١٩٢٣م ... ولكن أكثر الأفلام رواجا في تلك الفترة كان فيلم "الشيخ" عام ١٩٢١م ، وفيلم "ابن الشيخ" والذي عرض عام ١٩٢٦م ، مما أدي إلي إدخال مصطلح أو مفهوم جديد "الشيخ" في الاستعمال الدارج في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي في أوروبا.. ويلاحظ أن الفيلم يصور ذلك "الشيخ" بأنه صاحب أسلوب شهواني ، يختطف امرأة حسناء ويجبرها علي أن تقع فى غرامه، وهو أيضاً رجل عاشق محاط بالرعب والغموض وسحر الشرق وغواية الصحراء . (٢٦)

وفي الثلاثينات أظهرت السينما الأوروبية صورة العرب والمسلمين كمرتزقة ومتعطشين للدماء ، خاصة في فيلم "الريشات الأربع" عام ١٩٣٩م ويتناول الفيلم قصة قائد عسكري إنجليزي يخسر معركة حربية في السودان فيقوم بعملية تنكرية وينضم إلي جيش الخلافة العثمانية كجاسوس لبريطانيا .. ويري المتخصصون أن الفيلم يظهر العرب كسذج ، حيث استطاع البطل "الأوروبي" خداعهم والتنكر في

زي الأهالي ، ويمكن القول أن هذه الفكرة تتفق مع كتابات المستشرقين مثل بركهاروت وبروتون ، وتنطبق علي ضباط إنجليز مثل : لورانس العرب .

وإذا كانت فترة الأربعينات قد شهدت أفلاماً تحمل صورة خيالية .. فانتازيا.. مثل فيلم "لص بغداد" عام ١٩٤١م "وعلي بابا والأربعين حرامي"١٩٤٤م "وألف ليلة وليلة" عام ١٩٤٥م ، و"السندباد البحري" ١٩٤٧م ، وهي أفلام تدور في إطار المكائد والمطاردات في الصحراء التي يقيم بها العرب ، فإن بعض الأفلام قد صورت العرب كبدائيين ومتعصبين ضد اليهود كما في فيلم "سيف في الصحراء" ١٩٤٩م وإن كان هذا الفيلم ، إلي جانب فيلم الخروج ١٩٦٠م يصور العرب أو المسلمين كأناس "متخلفين" "وإرهابيين" يمثلون تهديداً لدولة إسرائيل ولليهود كما يشين الفيلم هؤلاء العرب الذين يقاتلون تحت قيادة عربي نازي !!

وفي الستينات نجد أن هناك فيلمين قد ساهما بشكل كبير في رسم صورة للعرب والمسلمين في تلك الحقبة أولهما فيلم "لورانس العرب " عام ١٩٦٢م وهو من أكثر الأفلام رواجاً آنذاك .. ومنه استمد الكثير من الناس في أوروبا تصوراتهم عن العرب والمسلمين فقد أراد صناع الفيلم إظهار نمط الحياة البدوية للعرب وتفوق الشخصية الأوروبية ، من خلال البطل "لورانس" الذي استطاع أن يوحد العرب ثم هزيمة الأتراك ، وإيصال رسالة للجمهور وهي أن الحكام العرب قوم مخادعون لا مبدأ لهم ولا يبغون إلا تحقيق المنفعة .. أما ثاني الفيلمين هو فيلم "الخرطوم" عام ١٩٦٦م ، فالمسلمون هنا "متعصبون" بقيادة زعيم ديني "متعصب" وهو المهدي ، ويركز العمل علي تقديم العرب في شكل تجار رقيق ومقاتلون متوحشون ، بينما الإنجليز هم قوم يتمتعون بالإنسانية والتواضع.

ومن الملاحظ أن غالبية الأفلام السينمائية قد عرضت في القنوات التلفزيونية الأوروبية ، وبالتالي استطاع المشاهد الأوروبي تكوين آراء وصور ذهنية بموجبها عن العرب والمسلمين ، ولاسيما من خلال الفيلمين الأخيرين "لورانس العرب" والخرطوم".

ومع بداية التسعينات وسقوط الشيوعية وانهيار الإتحاد السوفيتي ، أخذت السينما الأوروبية تهتم بطرح قضايا الإسلام والمسلمين بشكل مباشر علي اعتبار أن الإسلام هو الخطر الداهم بعد الشيوعية ، حتى أن روسيا نفسها أخذت تعامل الإسلام علي أنه "العدو" رغم أن مسلميها هم سكان أصليون ، وإن كانوا أقلية (حوالى ٢٠ مليون مسلم حالياً) إلا أنهم قد أثاروا حفيظة الروس دون سبب ، مما أدي إلي تركيز السينما الروسية علي حياة المسلمين ، ومن أهم هذه الأفلام فيلم "مسلم" والذي يتناول قصة شاب روسي اعتنق الإسلام أثناء مشاركته في الحرب ضد أفغانستان في تلك الفترة ، ويعيش بطل الفيلم في غربة زمانية ومكانية فور عودته إلي قريته ، فهو يرفض الاندماج والتعايش مع أهله وأصدقائه ، لأنه أصبح مسلماً مختلفاً عنهم في العادات والتقاليد والأخلاقيات .. وتدور تطورات الفيلم في إطار رفض "المسلم" لكل القيم والمبادئ التي تخالف دينه حتى لو كانت قيم الأهل والمكان الذي تربي فيه ، لذلك فهو شخص غير طبيعي يتمسك بقيم غريبة علي مجتمعة وأهله ، حتى أنه كاد يقتل أخاه الذي حاول إعادته إلي مجتمعه وأهله ، وفي النهاية لا يجد البطل إلا التكيف مع من حوله ويعود إلي طبيعته قبل اعتناق الإسلام حتى يستطيع الاستمرار في الحياة .. ولكنه رافض لمجتمعه ناقم عليه يكره الروس لأنهم أحتلوا بلداً إسلاميّاً وقتلوا إخوانه في العقيدة "مسلمي أفغانستان" .. فهو فيلم يعرض صورة أقل قتامة من الأفلام الأمريكية ، ولذلك تم منع عرضه في الولايات المتحدة.

وفي هذا الإطار قدمت السينما الألمانية مجموعة أفلام تصور مسلمي شمال إفريقيا – المغرب العربي – والأتراك علي أنهم مهاجرون سيئون .. لصوص وقتلة أو مشاكسون ينحرفون عن قوانين البلاد ويسببون أزمات ومشاكل للمجتمع الذى يعيشون فيه ، ومن أهم هذه الأفلام فيلم "ياسمين" الذي يصور الأتراك بالهمجية والقسوة لأنهم يعارضون ارتباط الابنة ياسمين بشاب ألماني ، وهم متخلفون غير قادرين علي التعايش مع المجتمع المتحضر في المانيا [٢٨]" وهناك فيلم "الكل

إسمه "على" الذي يصور كل مسلم أو عربي علي أنه "عليٌ" وعليٌّ شاب عاطل يبحث عن النساء العجائز للاستيلاء علي أموالهن بعد إيهامهم بالحب ، هو قاتل مأجور ومحترف نصب ومشاجرات له كل صفات الإجرام.

قنوات فضائية تشوِّه الإسلام :

عملت وسائل الإعلام العربية والإسلامية التي حصلت علي تراخيص إصدار من أوروبا(نظراً للحرية التي تتمتع بها الدول الأوروبية) علي ربط هذه الوسائل بالوطن الأم والدفاع عن قضاياه، ومع انتشار القنوات الفضائية ظهرت قنوات عديدة تبث برامجها من خلال الدول الأوروبية ، مثل القنوات العربية التي تعمل من لندن أو باريس.. في السنوات الأخيرة سمحت السلطات المعنية في الدول الأوروبية لبعض الفرق الضالة بإنشاء قنوات قضائية تحمل أسماءً إسلامية ولكنها تقدم تشويهاً صريحاً للإسلام وشريعته والعقيدة الإسلامية ، وهذا العمل يعد مشاركة أوربية غير مباشرة في تقديم صورة مغلوطة ومشوهة عن الإسلام ، من أهم هذه القنوات ، نجد قناة "التلفزيون الإسلامي الأحمدي" وهي قناة تبث برامجها من العاصمة البريطانية لندن ، وتتبع الطائفة "القاديانية" (وهي جماعة منحرفة عقائديّاً ومعروفة بكفرها وخروجها علي الإسلام) وهذه القناة تعمل علي الدعاية للمذهب القادياني باسم الإسلام ، بعدة لغات منها العربية والإنجليزية والفرنسية إلى جانب اللغة التركية والروسية والبوسنية .. وتبث هذه القناة برامجها علي القمر الصناعي الأوروبي "يورسات" الذي يغطي أوروبا الغربية كلها وجزء من شرق أوروبا.

يري المتخصصون أن تأثير هذه القنوات مزدوج في تشويه صورة الإسلام ، فمن ناحية يقدم مضموناً ومغلوطاً عن الإسلام لغير المسلمين ، بينما يشكك الأجيال الجديدة من مسلمي أوروبا في دينهم ، خاصة أن الشباب قد لا يعرف دينه جيداً ، طالما انقطعت صلته بالوطن الأم .. كما أن المسلم حديث العهد بالإسلام (المهتدي) سوف يتعرض لصورة مغلوطة في قالب إسلامي !! فقناة مثل

"التلفزيون الأحمدي" تستهل برامجها بصورة المسجد الحرام ، وبين منارتين منه يظهر مدعي النبوة (ميرزا غلام القادياني) حتى يتوهم المشاهد أن القاديانية جزء أصيل من الإسلام ، ثم تقوم القناة ببث بعض آيات من القرآن الكريم ، وتركز القناة علي ما يسمونه مجلس خاتم الأنبياء وخدام الأحمدي ، وعلي المقر الخاص بهم في بريطانيا وتحركات زعيمهم الحالي ، إلي جانب بث فقرات أسئلة وأجوبة ، ويقوم بالرد علي الأسئلة زعيمهم الذي يطلقون عليه "لقب خليفة حضرة المسيح."[٢٩] .

ثالثاً : الإذاعة

نظراً لصعوبة رصد وتحليل مضمون الإذاعة في أوروبا والولايات المتحدة فيما يخص الإسلام والمسلمين ، فإنه يمكن تناول الإذاعات الأوروبية والأمريكية الموجهة باللغة العربية ، ومن أهمها وأقدمها إذاعة لندن التابعة لهيئة الإذاعة البريطانية B.B.C والتي اعتمد عليها المواطن العربي لمدة طويلة في التعرف علي المعلومات والأخبار المحلية والعالمية بشكل "أكثر مصداقية" ، قبل انتشار القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت ، وهناك إذاعة "سوا" التي أطلقتها الولايات المتحدة في شهر مارس ٢٠٠٢م ، والتي تهدف الي تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط والدول العربية ، بسبب الصورة المؤسفة للولايات المتحدة في هذه الدول منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ثم احتلال أفغانستان والعراق وحربها كل ما هو إسلامي باسم "الحرب علي الإرهاب" .. أما فرنسا فلديها راديو "موفت كارلو" و "راديو فرنسا الدولي " .. وهما يقدمان وجهة النظر الفرنسية في كافة القضايا الإقليمية والدولية وتسويق صورة إيجابية لفرنسا ، خاصة أن فرنسا كانت ضد غزو العراق وتعارض السياسات الاستعمارية – الضربات الاستباقية – للولايات المتحدة وحلف الناتو..

وجدير بالذكر أن بث هذه المحطات متاح علي شبكة الإنترنت من خلال خدمة البث الحي Streaming ، كما يجدر الإشارة إلي أن هيئة الإذاعة البريطانية قد طورت إذاعة لندن بالعربية وقدمتها تحت أسم "بي بي سي أكسترا".

في دراسة تطبيقية على إذاعة لندن – القسم العربي – عام ١٩٩٤م جاءت اتجاهات المستمعين نحو سياسة الإذاعة في البرامج الإخبارية والسياسية رافضة ومعارضة بنسبة ٨٠ % لسياسات الإذاعة المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وقد أسس المستمعون رفضهم علي العوامل التالية:

١- انتهاج الإذاعة توجهات مضادة للإسلام والمسلمين ، من خلال التعتيم الإعلامي على بعض القضايا الإسلامية ، وتصوير عمليات القمع والإبادة التي مارسها الصرب ضد مسلمي البوسنة علي أنها مشكلة داخلية الي جانب وصف العناصر الإسلامية بالإرهاب والتطرف ، وتخذير الحكومات العربية وتخويفها من الإسلاميين ، من خلال الندوات والحوارات التي أذاعتها إذاعة لندن في تلك الفترة.

٢- التحيز ضد العرب والمسلمين ، وعدم الالتزام بالموضوعية في معالجة القضايا الساخنة في الشرق الأوسط والعالم العربي، خاصة الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة المسلحة وتم وصفها بالعنف والإرهاب.

٣- تناولت الإذاعة شخصيات مرفوضة عربيا وإسلاميا بشكل إيجابي مثل الكاتب الإنجليزي . الهندي الأصل . سلمان رشدي صاحب كتاب آيات شيطانية والذي أثار ضجة كبيرة في العالم الإسلامي نظراً للهجوم الفاضح الذى شنَّه علي الرسول ﷺ والصحابة.

٤- استعانة الإذاعة بضيوف من المعاديين للعرب والمسلمين مع أنها موجهة أساساً للعالم العربي ذي الأغلبية المسلمة ، وتناولها المواد الدينية والمرتبطة بالإسلام ضمن برنامج منوعات يقوم علي الموسيقي والغناء والترفيه "برنامج ندوة المستمعين".(٣٠)

٤- أكدت الدراسة رغبة مستمعي إذاعة لندن في أن تتبني الإذاعة وجهة نظر موضوعية فيما يتعلق بالقضايا العربية والإسلامية ، في صورة معلومات صحيحة

وحقائق جازمة .. وهو ما يؤكد أن الصورة التي تقدمها عن العرب والمسلمين لم تكن صحيحة او موضوعية بصفة عامة.

٥- قام المسلمون في بعض الدول الأوروبية بإنشاء محطات إذاعية لعرض وجهات النظر الإسلامية للمجتمع الأوروبي وتصحيح المفاهيم المغلوطة والمشوهة عن الإسلام والمسلمين ، مثل الإذاعة الإسلامية في هولندا (NMO) والتي تحاول الرد علي القضايا المثارة فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين مثل قضية الحجاب ، والتي أحدثت ضجة في فرنسا ومعظم أوروبا عام ١٩٩٤م، حيث بثت الإذاعة برنامجاً في٢٣ أكتوبر ١٩٩٤م بعنوان "قطعة القماش التي أحدثت ضجة " دافعت فيه عن المسلمات المحجبات ، من خلال حديث شرائح من النساء المسلمات كالطالبة والعاملة ، والتي أكدت أن الحجاب لا يعيق العمل والدراسة بنجاح.

٦- أنشأت الأحزاب والحركات اليمينية المتطرفة في أوروبا إذاعات عنصرية تهدف للهجوم علي المهاجرين والأجانب خاصة المسلمين مثل : إذاعة هولجر التابعة لحزب الشعب الدنماركي.

رابعاً : الكتب الدراسية :

أكد العلماء والباحثون المسلمون المشاركون في مؤتمر الحوار الإسلامي ، المسيحي بسويسرا عام ١٩٩٥م بمناسبة مرور ٩٠٠ عام علي بدء الحروب الصليبية ، أن مناهج التعليم الأوروبية تقدم صورة سلبية ومشوهة للإسلام والمسلمين .[٣٢]

قام البروفيسور عبد الجواد فلاتوري . المستشرق الألماني ومدير الأكاديمية الإسلامية للعلوم بألمانيا . بدراسة منهجية تتناول صورة الإسلام في الكتب المدرسية لمواد (الدين والتاريخ والجغرافيا) في كل من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وهولندا وإسبانيا وبعض دول غرب أوروبا.. جاءت نتائج الدراسة ، التي استغرقت

١٤ عاماً ؛ لتؤكد أن صورة الإسلام والمسلمين كانت سلبية بإمتياز ، حيث صورت كتب الدين عالم الدين الإسلامي على أنه طاغية منتقم ، وأن اتباعه من المسلمين يخضعون له تماماً خاصة فيما يتعلق بخوض حروب مقدسة ضد المسحيين في أي فرصة تسنح لهم [٣٣].

كتب والتاريخ والجغرافيا في الدول الأوروبية تصور المسلمين علي أنهم برابرة متوحشون ، وتصف كلمة "الفتح الإسلامي" بالغزو واعتبرت أن القرآن الكريم ليس وحياً من الله ، وإنما هو كتاب يحتوي علي تعاليم محمد ﷺ .. وخطورة هذه المناهج أنها تدرس للأطفال والنشئ الصغير ، فالمشكلة (كما يقول الخبير النمساوي أوتوهابسبرج) أن صورة الإسلام والمسلمين في العقل الأوروبي تنشأ معه منذ السنوات الأولي للدراسة دون إنصاف للمفاهيم الصحيحة عن الإسلام.

عرضت مارلين نصر في مؤلفها القيم "صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية" لأكثر من ٨٥ كتاباً مدرسيّاً في فرنسا في مواد التاريخ والجغرافيا والقراءة والتربية الدينية خلصت الباحثة الي ما يلي :

١- صورة العربي والمسلم في كتب القراءة الفرنسية هي (عبارة عن شخص يعيش في الصحراء بأشخاصها وتقاليدها التي تتسم بمنتهى السلبية)، وإذا انتقلوا لمكان فإنهم يحملون معهم صفاتهم الصحراوية (من حيث التخلف أو الجمود) في مواجهة مجتمع صناعي منظم ومتحضر ومنفتح عقليّاً (المجتمع الأوروبي).

٢- وفي مجال التاريخ ، يطالع التلميذ الفرنسي في المرحلة الابتدائية كتباً دراسية تركز علي الغزو الإسلامي لفرنسا ، وتبرز بطولات الفرنسيين في مواجهة هذا الغزو، دون ذكر لأي قائد أو بطل عربي مسلم.

٣- وفي المرحلة الثانوية ، تبرر مقررات التاريخ الحملات الصليبية علي الشرق الإسلامي ، بزعم معاناة الحجاج المسيحيين وانتهاك قبر المسيح في بيت المقدس ،وأنها كانت لحماية المسيحيين من العرب المسلمين المغتصبين البرابرة.[٣٤]

خامساً : الانترنت

أصبحت شبكة الإنترنت تزخر بمئات المواقع سواء الإسلامية أو التي تتناول الإسلام والمسلمين ، وهناك مواقع متخصصة تحيلك إلي المواقع الإسلامية المتخصصة مثل موقع Sites Islam Popular ، وهو موقع يضم أكثر من مائة عنوان لمواقع إسلامية في كافة أنحاء العالم ، وتشمل عناوين لمواقع أوربية بعضها باللغات الفرنسية والألمانية والأسبانية ، إلي جانب الإنجليزية ، وهناك مواقع يقتصر اهتمامها علي المسلمين في الدول الأوروبية مثل : بلجيكا وإيطاليا إلي جانب فرنسا وإنجلترا وبعض هذه المواقع مخصص للمعلومات المتعلقة بشرح معالم الإسلام أو قضايا المسلمين في أوروبا ، في حين نجد مواقع أوربية أخري تختص بالحديث عن نشاط هيئة أو جمعية إسلامية بعينها .

هناك مواقع أخري خصصت صفحات علي موقعها للحديث عن الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م مثل موقع Amazon.com الذي يتخصص في البيع علي شبكة الانترنت وقد أنشأ صفحة لفهم الإسلام Understanding Islam تعرض أحدث الكتب التي تناولت الإسلام سواء قبل أو بعد سبتمبر ٢٠٠١م ومعظم الكتب لكتَّاب غير مسلمين من أوروبا ، ومن أهم هذه الكتب موسوعة "تاريخ الإسلام" التي نشرتها جامعة اكسفورد للخبير الأسباني المتخصص في شئون الأديان جون أسبوزيتو ، الموسوعة تشمل ٧٠٠ صفحة و ٣٠٠ صورة فوتوغرافية .

هناك هيئات وجهات متعددة ، يصعب حصرها ، عرضت صورة سيئة للإسلام والمسلمين على شبكة الإنترنت مثل :

طائفة القاديانية ، سبق الحديث عنها ، فقد قامت في فرنسا بتأسيس مسجد على شبكة الانترنت من موقعها بالشبكة والذى يقدم الفتاوي والمعلومات المغلوطة عن الإسلام.[٣٥]

كما قامت هيئات أخري مشبوهة بتسجيل مواقع باسم Islam وهناك مواقع لجهات غير مسلمة تحمل أسماء إسلامية مثل (الله ، محمد ، المسلم ، الإسلام ، الجهاد) ومن العجيب أن هناك موقعا باسم "الجهاد" أنشأه مواطن صربي غير مسلم ولنا أن نتصور ما يمكن أن يقدمه هذا الصربي عن الجهاد !! خاصة أن كثيرا من الأوروبيين ليست لديهم معلومات صحيحة عن الإسلام حتى المتعلمين والمثقفين منه ،وغير قادرين علي التمييز بين المعلومات الصحيحة المغلوطة.[٣٦]

معظم الصحف ووسائل الإعلام الأوروبية لها مواقع علي شبكة الإنترنت تقدم من خلالها المقالات التي نشرتها عن الإسلام للمشتركين ، وتقوم بعمل ملفات لبعض الموضوعات المختلفة ، كما أن هناك الكثير من المواقع الأوروبية التي تعني بالشأن الإسلامي تستخدم المقالات التي نشرت في الصحف الأوروبية أو بعض الكتب وتقدمها للقارئ كجزء من ملف معلومات عن قضية معينة مرتبطة بالإسلام.

إذا كان الإنترنت مجالا للتواصل والتفاعل الاجتماعي يسمح بتشكل رأي عام له أفكار وآراء مختلفة عن تلك السائدة ، كما نلحظ انتشار معلومات علي الشبكة لا تهتم بها وسائل الإعلام التقليدية ، ولكن يجب الإشارة هنا إلي أن الانترنت نفسه يمثل مجالاً واسعاً لفوبيا متطرفة عن الإسلام، ومن خلال مئات الآلاف من المواقع التي تهتم بالأفكار والمعلومات حتى من خلال وسائل البريد الاكتروني.

***

هوامش الفصل الأول

١) علي عجوة : العلاقات العامة والصورة الذهنية ، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٨٣م ص ١٠.

٢) المصدر السابق ص١٢ .

٣) المصدر السابق ص ١٥ .

٤) سامي مسلم : صورة العرب في صحافة المانيا الإتحادية ، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٥م) ص٣١ .

٥) المصدر السابق ، ص ٣١ .

٦) جعفر عبد الرازق : "المسلمون في الإعلام الغربي" ، مجلة الفكر الجديد، عدد يناير ١٩٩٦م ، ص ٣٩٠ – ٣٩٢ .

٧) المصدر السابق.

٨) المصدر السابق .

٩) مراد هوقمان : (العقلية الأوروبية والإسلام ٢– ٢) جريدة الشرق الأوسط ، لندن،١٤/ ٣/ ١٩٩٦م .

١٠) المصدر السابق.

١١) المصدر السابق.

١٢) بهجت قرني :(صورة العرب والمسلمين في العالم)، محاضرة بالهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة ٣/ ٢٠٠٤/٧ .

١٣) عبد الباسط عز الدين: " أوراق عائد من عاصمة الضباب" جريدة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ٢٦ فبراير ١٩٩٦م.

obeikandl.com

١٤) محمد أحمد محمدين : "صراع الحضارات هل يتحول إلي مواجهة بين الأديان "، جريدة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ٦ نوفمبر ١٩٩٥ ، ص١٠.

١٥) معالي عبدالحميد جودة : "الخطر الإسلامي ولائحة الألوان" ،جريدة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ،٣١ يوليو ١٩٩٥م ، ص ٣ .

١٦) محمد احمد محمدين: مصدر سابق.

١٧) حلمي خضر ساري : (صورة العرب في الصحافة البريطانية .. دراسة اجتماعية في الثبات والتغير لمجمل الصورة) ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٨م ، ص١١٢ .

١٨) Standard Evening London، No.6، January، 1978

١٩) حلمي خضر ساري : مصدر سابق، ص١٢٨ .

٢٠) إدوارد سعيد : "تغطية الإسلام" ، لندن ، دار كيمان،١٩٨١م.

٢١) حلمي خضر ساري : المصدر السابق، ص١٢٩.

٢٢) عبد الباسط عز الدين : مصدر سابق ،ص١٢ .

٢٣) مراد هوفمان :"وضع الإسلام في المانيا"، جريدة الأهرام المصرية ٢٥ / ٣ / ١٩٩٥م.

٢٤) مراد هوفمان : المصدر السابق.

٢٥) الهيئة العامة للاستعلامات : "عرض كتاب أفلام هوليوود تشوه صورة العرب وتقدمهم علي أنهم أشرار"، القاهرة ، ص٥.

٢٦) Sari J Nasir , the Arabs and the English ، (London: Longman 1976

٢٧) عرض الفيلم بالمركز الثقافي الروسي بالقاهرة في ديسمبر١٩٩٧م .

obeikandi.com

٢٨) هذه الأفلام عرضت بالمركز الثقافي الألماني بالقاهرة معهد جوته عامي١٩٩٦، ١٩٩٧ .

٢٩) جريدة العالم الإسلامي السعودية ،٢٦ فبراير ١٩٩٦م .

٣٠) د. كرم شلبي :":اتجاهات المستمعين العرب نحو إذاعة القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية"، (القاهرة ، الأزهر ١٩٩٤م).

٣١) أنشأت عام ١٩٨٦م ، وتدار من قبل مسلمين مغاربه وأتراك ، وتمولها وزارة الثقافة الهولندية ، وتبث برامجها بالهولندية والعربية والتركية .

٣٢) مجلة نور الإسلام : "هموم المسلمين في أوروبا " العدد الأول ، أغسطس ١٩٩٧م .

٣٣) مراد هوفمان ، جريدة الأهرام ، مصدر سابق .

٣٤) مجلة نور الإسلام ، مصدر سابق .

٣٥) عبد الباسط عز الدين ، أوراق عائد من عاصمة الضباب ، مصدر سابق.

٣٦) محمد عبدالله الفولي : الإنترنت .. الحظر الداهم .. مجلة الوعي الإسلامي، الكويت ، العدد ٣٩٩ ، فبراير ١٩٩٩م ص٦٢.

***

obeikandl.com